مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 02 السنة 2022 ص 362 - 382

تاريخ الإرسال: 2020/09/26 تاريخ القبول: 2022/03/19
تاريخ النشر: 2022/04/24

عتبات النص النقدي
قراءة في مقدمة نص: الشعر الديني الجزائري لعبد الله الركيبي.
critical text thresholds:
Reading in the introduction to the text:
the Algerian religious poetry of Abdullah Rokibi.

سهيلة بوساحة،
جامعة برج بوعريريج (الجزائر)، souhyla.boussaha@univ-bba.dz

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى معاينة مقدمة النص النقدي الذي نقد فيه عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري، ومحاولة معرفة المنهج النقدي الذي اتبعه الناقد، والهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من إنجاز هذا النص، والذي من المفروض تكييفه مع هدف المنهج المتبع؛ إذ يهتم القارئ للنصوص النقدية بمقدمة النص باعتبارها عتبة توجيه تُساعده على معرفة المنهج المتبع في النص، على اعتبار أنّ تحديد المنهج من الشروط والمعايير التي تضبط المقدمة، حسب ما حدّدته منهجية البحث الأكاديمي.
منجز النص النقدي الجزائري المخصص للقراءة على وعي بفاعلية العتبات النصية ودورها في كشف المعرفة وأدائها وظيفة النص الموازي؛ حيث ضبط عتبة المقدمة وفق شروطها، والتي أسهمت في تفعيل القراءة النقدية وكشفت عن وعي الناقد بالمنهج وبآليات التحليل وكيفية اشتغالها.

الكلمات المفتاحية: العتبة، النص النقدي، القراءة، مقدمة النص، المنهج.

Abstract:

This study seeks to examine the introduction to the critical text in which Abdallah Al-Rukaibi criticized Algerian religious poetry, and to try to know the methodology followed, and the goal of this text, which is adapted to the goal of the curriculum. The reader is interested in the critical texts of the introduction as a threshold of guidance, given that determining the curriculum is one of the conditions and criteria that control the introduction, as determined by the academic research methodology.
The author of the text is aware of the effectiveness of the threshold, its role in revealing knowledge and its performance of the function of a parallel text Where he set the introduction according to its conditions, as it contributed to activating critical reading and revealed the critic's awareness of the curriculum, the mechanisms of analysis, and how they operate.
Keywords: threshold, critical text, reading, introduction to text, Method.

سهيلة بوساحة، SOUHYLA.BOUSSAHA@UNIV-BBA.DZ

1.مقدمة:

بدأ الوعي بالعتبات النصية Seuils de texte بظهور نظريات النص وانتقال السلطة إليه؛ باعتباره بنية دالة مكتفية بذاتها، ويمكن للعتبات أن تتكفل بتجلية النص دون الاستعانة بالعناصر الخارجية؛ إذ تعمل عمل الإشهار والإعلان للنص وتُوفّر للقارئ جهد متابعة المعرفة، لأنّ مهمة القارئ تأمل المنهج المتبع في النص ومحاولة الوقوف على الوعي المنهجي للناقد منجِز النص النقدي، من خلال التفاعل interaction ويمكن التعويل على عتبات النص النقدي Seuils de texte critique للوقوف على معارف النص؛ إذ تبنى العتبات وتُكيّف على حسب بنية النص، التي تُكيّف بدورها مع أهداف المنهج المتّبع في قراءة النص الأدبي.

تهدف هده الدراسة إلى قراءة عتبة المقدمة في النص النقدي المعنون بـ"الشعر الديني الجزائري الحديث" لمنجزِه عبد الله الركيبي، للوقوف على المنهج المتّبع في نصه؛ من أجل استخلاص مستوى الكفاءة النقدية عند ناقد الخطاب الشعري الجزائري، وكذا الوقوف على كيفية تلقي واستثمار الناقد الجزائري لنظريات ومناهج نقد الشعر ذات المرجعيات المعرفية والثقافية المختلفة، ومن ثمّ تقييم جهده النقدي في مجال نقد الشعر وفق تصور منهجي يستمد أدواته ووسائله من اتجاه نقد النقد ونظريتي القراءة والتلقي؛ حيث تتميز أدوات هذان الاتجاهان بالدينامكية نتيجة تفاعلها مع بنيات النص النقدي منها: الوقع المعرفي الإبستيمولوجي وبناء الذات القارئة والتفاعل بين بنية النص وبنية فعل القراءة وآليات إنتاج المعنى وأفق الانتظار وفهم التطور النقدي المعرفي واندماج الآفاق النقدية والاستجابة المعرفية؛ إذ تمكّن هذه الأدوات من إعادة قراءة النصوص النقدية قراءة واعية، ولا تعني بأن يقحمها القارئ في أي دراسة، وإنّما يطبق آلية من هذه الآليات بناءً على الغاية المستهدفة؛ لأنّ الخصوصية النصية والشروط التاريخية التي أُنجزت فيها النصوص تفرض على قارئها أداة دون أخرى.

ولقد تمثلت إشكالية هذه الدراسة في محاولة الوقوف على: مستوى وعي منجز النص النقدي الجزائري بفاعلية العتبات النصية ودورها في كشف المعرفة وأدائها وظيفة النص الموازي، كشف وظيفة عتبة المقدمة وغاياتها في تفعيل القراءة النقدية لنصوص نقد الشعر الجزائري، وهل تكشف مقدمة النص النقدي عن الوعي المنهجي للناقد وتوفر الشروط النقدية فيه، من حيث الكفاءة المعرفية والمنهجية، ومدى مساهمة هذه العتبة في الوقوف على طريقة الناقد في تقييم الشعر الديني الجزائري، وما مستوى وعيه باستخدام الأدوات الإجرائية التي بلور في ضوئها رؤيته النقدية.

تُقعّد هذه الإشكالية لتجريب آليات قراءة النص النقدي ببنياته للوقوف على مدى تطور العلاقة بين النص النقدي وعتباته، وتغيير عاداتنا في قراءة النصوص النقدية والتخلّص من الطرق الكلاسيكية وما يعرف بالبطاقة الفنية للنص النقدي، ومسايرة الحركة النقدية من خلال تحليل كيفية التلقي والاستجابة réponse وإعادة قراءة نصوص نقد الشعر الديني الجزائري، في محاولة قرائية محاورة ومضيئة تسعى إلى تأسيس رؤية نقدية تُراعي خصوصية النص النقدي المنجز حول الشعر الديني الجزائري، أو إعادة قراءة النص الشعري الديني الجزائري وفق آليات ومناهج نقد الأدب، بعدما تغيّرت الشروط التاريخية وتحسنت الظروف المعرفية للقارئ الجزائري، مقارنة بالفترات الحرجة التي مرّت بها الثقافة النقدية في الجزائر، كما تهدف مقاربة خطاب عتبة المقدمة ومختلف عتبات النص النقدي إلى ردّ الاعتبار لهذا النص الموازي الذي أهمل من قبل؛ خاصة وأنّ السلطة أوكلت إلى النص في بنيته النسقية وإلى القارئ بخبراته القرائية.

2. عتبات النص النقدي:

توضع للنص النقدي عتبات نصية تعمل على توجيه القارئ إلى البنية المعرفية التي يتشكّل منها هذا النص؛ فالناقد مطالب "بوضع قوانين تُوجّه عملية التلقي، ولا يفترض كفاءة لدى المرسل إليه، وإنّما يُساهم أيضا في إحداثها"[1] عن طريق التفاعل مع بنيات النص، ومن بينها العتبات النصية والتي أصبح الاهتمام بها بمثابة دعوة إلى "إعادة النظر في معمار النص؛ فالوقوف عند العتبات هو توقف أمام مختلف مناصاته"[2]، ولقد وُضع مصطلح العتبات النصية بوصفه مقابلا "للاصطلاح الفرنسي paratexte وتعني مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: حواش وهوامش وعناوين رئيسة وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة، وغيرها من بيانات النشر المعروفة"[3]؛ إذ يبدأ القارئ في القراءة من العتبات؛

فمع "التفاعل النصي تحقق الإمساك بمجمل العلاقات التي تصل النصوص بعضها ببعض، والتي صارت تحتل حيزا هاما في الفكر النقدي المعاصر"[4]، إذ عرف الحقل النقدي المعاصر تداولا لمصطلح عتبات Seuils، وأخذت مكانها فيما يتعلق بالعناوين والعناصر الأخرى في النص المؤطر خصوصا منذ نشر العتبات"[5] للناقد Gérard Genette والذي جعل منها "خطابا موازيا للخطاب الأصلي وهو النص"[6]، تعمل على إنتاجه وتوضيح دلالته.

ولما كان من الضروري "مساءلة المنطقة المحيطة بالنص والدائرة بفلكه"[7] ظهرت دراسات وفيرة تُؤكّد "محاولات النقد في موضوع العتبات؛ حيث أُجريت بحوث اهتمت بالفاتحة النصية باعتبارها منطقة تكثيف الخطاب حول النص وقوانينه"[8] وتم التعامل مع العتبات عل أنّها "نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الذي يخفره أو يُحيط به، بل إنّه يلعب دورا هاما في نوعية القراءة وتوجيهها"[9]؛ لأنّها توجّه القارئ أثناء القراءة؛ مما يعني أنّ "العبور إلى النص محدّد بطرق مختلفة من قبل النقد"[10] من بينها عتبات النص النقدي التي "يمكن اعتبارها مرشدا أساسيا لتبيين منهج الناقد"[11] إذ تُساعد القارئ للوقوف على منهج النص، موضوع القراءة، دون عناء.

1.2 عتبة المقدمة في النص النقدي:

يبدأ القارئ مع أول عتبة في التفاعل مع النص؛ لذا فمن الضروري "الانتباه إلى أشكال انبناء البنيات النصية وتحقّقها"[12] ومراعاة بنية كل نص؛ لأنّها تتحكم في نوعية الاستجابة التي تحدث للقارئ والتي تتغير بتغيّر النص المقروء؛ فالقارئ لما قارب نصا أدبيا واستعان بآليات مختلفة مكنته من توصيل استجابته الجمالية التي أحدثها تفاعله مع النص، إلى قارئ ثانٍ ولّدت لديه استجابة معرفية ابستيمولوجية نتيجة تلقيه خطابا معرفيا وليس جماليا؛ إذ "يُؤدي التأثير الجمالي إلى إعادة بناء التجربة"[13]، مما يعني أنّ "كفاءة المرسل إليه ليست بالضرورة مطابقة لكفاءة

المرسل"[14] وبهذا يكون قارئ الأدب قد أتاح فرصة لقارئ آخر حتى يتفاعل مع نص هو بدوره متفاعل مع نص الأدب.

تدخل المساءلة النقدية التي استدعتها الاستجابة الابستيمولوجية ضمن ما يصطلح عليه قراءة القراءة، وهي قراءة تُحاول "الإمساك بتلابيب استجابة القراءة"[15] انطلاقا من معاينة بداية النص وصولا إلى نهايته"[16]، فبين العنوان والمتن يوجد تآلف وتفاعل، وبين المقدمة والفهرس والمرجعية يوجد تآلف، لذا "يهتم القارئ المتتبع لحركة الكتب بالغلاف وبالعنوان"[17] والمقدمة، باعتبارها عتبات النص النقدي وهي "بنيات تنتظم لتكوّن النص؛ ويمكن اعتبارها معمارا محدّدا لطبيعته، من خلال علاقات التفاعل والتآلف التي تربط بنياته، فلا يمكن الانتقال بين فضاءاته دون المرور من عتباته"[18] التي تسمح بتوجيه القارئ لتحديد نقاط النص الاستراتيجية لبدء الاتصال به"[19]، ويمكن اعتبار العتبات أدنى نقاط الاتصال بين المتلقي والنص؛ حيث يبدأ قارئ النقد بالعنوان ليختبر أفق توقعه ويتنبأ بالمنهج المتبع، ثم ينتقل للعتبة الثانية لتأكيد توقعاته؛ "فانطلاق المقدمة في عرضها لمنهج المؤلف في الدراسة وتحديد أدواته الإجرائية لها أهميتها الخاصة في القراءة"[20]؛ لأنّ ذكر المنهج من الشروط الضابطة للمقدمة، وباعتبارها "فاتحة نصية فهي مسجّلة ضمن إشكالية أعم لمراكز النص الإستراتيجية، وتحظى اليوم باهتمام كبير؛ لأنّها توجد عند نقطة التقاء الكثير من المقاربات النقدية"[21]، خاصة وأنّ ذكر المنهج وتحديد الهدف والإشارة إلى الدراسات السابقة من الشروط الضابطة لها، والتي يُرتكز عليها لتمييز دراسة عن أخرى.

كما يُعوّل القارئ لمعرفة المنهج على عتبة فهرس الموضوعات التي هي في "الأصل الخطة التي وضعها منجز النص، وطوّرها وغيّرها حسب مقتضيات المادة العلمية، وتبعا لطبيعة المنهج"[22]، فالخطة هي في الأصل مبادئ المنهج المتبع أو كُيّفت بما يتناسب مع هدفه. أو يتجه قارئ النص النقدي إلى قائمة المصادر والمراجع؛ إذ يُمكن "اقتفاء أثر المنهج في المراجع المعتمدة، ويمكن لإحصاء بسيط أن يكون كافيا لإظهار المنهج"[23]، فليتأكّد القارئ أنّ العتبات تُساعده على الوقوف

على المنهج المتبع في النص النقدي، وضروري التعويل عليها كبنيات موازية يبني من خلالها أفق توقعاته عن المنهج المتبع والمُطالب بتأمله ومحاورته؛ فالعتبات تسمح بالكشف عن كل ما هو معرفي إبستيموولجي وتُساعد على الوقوف على صحة توقعات القارئ التي بدأ في بنائها من العنوان، فمن الضروري "رد الاعتبار لعتبة المقدمة التي كان يتجاوزها القارئ من خلال قراءتها والتحاور معها"[24] وهي الغاية المرجوة من مقاربتها في النص النقدي المعنون بـ: "**الشعر الديني الجزائري**" لمنجزه عبد الله الركيبي.

2.2 قراءة في مقدمة النص النقدي "الشعر الديني الجزائري":

المقدمة ثاني عتبة بعد العنوان يمكن أن تُحيل قارئ النقد إلى المعرفة التي يحتويها هذا النص، فهي ذات فاعلية لعملية القراءة "للاعتبار التصديري والافتتاحي الذي تمتلكه، والذي يمنحها سلطة توجيه القراءة"[25]، ولأنها تنضبط باستيفائها لقواعد أهمها: طرح إشكالية معرفية للموضوع النقدي المعالج وذكر الهدف المرجو من انجاز هذه القراءة؛ إذ إنّ "أسئلة المقدمة وتساؤلاتها الظاهرة والضمنية هي المصدر المنهجي الكامن وراء الهدف من التأليف"[26] لذلك تخضع المقدمة إلى شروط وضوابط حدّدتها منهجية البحث العلمي، وتُؤكد على القارئ ضرورة الوعي بها وتُلزم منجز النص الالتزام بها، خاصة ذكر "أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة والمنهج المتبع وتحديد الهدف من الدراسة"[27]؛ لأنّ هدف الإنجاز النصي يُقيّد بهدف المنهج المتبع في الدراسة، "وليس من اليسير دائما تبيّن منهج الناقد إذا ما خلت دراسته من مقدمة منهجية"[28] ويحدث أن تكتفي مقدمة النص بذكر الهدف دون الإشارة إلى المنهج المتبع، ويمكن للقارئ أن يقف عليه من خلال هدف الإنجاز، "فاحتواء المقدمة على تصور المؤلف للكتابة وغايته من التأليف"[29] يُسهّل قراءة النص النقدي، إذ تسمح "غايات الناقد من إقدامه على تحليل النص من تحديد رؤيته المنهجية المعتمدة"[30].

لأنّ هدف الناقد يُكيّف مع هدف المنهج المتبع، لذا يحرص قارئ مقدمة النص النقدي على "الوقوف على أهم معالم وملامح البرامج النقدية والرؤى المنهجية التي تطفح بها تلك الخطابات الموازية"[31]، والمقدمة باعتبارها عتبة مكملة فإنّه يحسُن بمنجز النص أن "ينأى عن الإطناب والخطابية والإنشاء؛ لتبرُز بشكل علمي هادف ومقنع وجاد وموجز، بما يطمئن إلى سلامة أدوات الدارس وعمق المنهج"[32] ، وإذا لم تستوف مقدمة النص النقدي الشروط والضوابط التي تجعل منها مقدمة، بإمكان قارئ النص النقدي البحث في عتبات النص النقدي الأخرى ومكملاته كالفهرس وقائمة المصادر والمراجع؛ لأنّ "وجود المقدمات ليس دائما كافيا لتحديد المنهج؛ لأنّ كثيرا منها لا يُشير أصلا إلى منهج ما والبعض الآخر قد يلفه الغموض"[33]، ممّا يُصعّب قراءة النص النقدي وتأمل منهجيته.

بالنسبة إلى مقدمة النص النقدي الشعر الديني الجزائري الحديث، لمنجزه عبد الله الركيبي الصادر في طبعته الأولى عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، سنة 1981 فقد صرّح الناقد فيها أنّ نصه محاولة للكشف عن الشعر الديني وما فيه من قيّم أدبية وإنسانية؛ ولقد ذكر الناقد بداية الاهتمام بالشعر الديني، التي ظهرت بعد فشل ثورة "المقراني" واتجاه الشعر إلى الدين وإلى التصوف، مدحا للرسول أو تغزلا في الذات الإلهية، أو ركونا إلى الدين في شتى موضوعاته، وجعل عام 1930 نهاية لنصه النقدي؛ لأنّه فاصل حدّد الطريق للقوى الوطنية بمختلف اتجاهاتها، وظهر التحدي للاستعمار وتعددت أساليب هذه القوى لمقاومة الأجنبي، ولأنّ الشعر الجزائري خضع لعوامل ومؤثرات أخرى، إلى جانب الدين تناولها نقاد غير **الركيبي،** والفترة التي اختارها تمتاز بطابع عام اصطبغ فيه الشعر بالصبغة الدينية، فأصبح فيها الشعر الديني هو النافذة الوحيدة التي بقيت للأدب العربي في الجزائر يتنفس منها[34] فلقد صرّح الناقد في المقدمة بالنوايا المنهجية التي دفعته إلى قراءة الشعر

الديني الجزائري الحديث، حيث كيّف أهداف إنجاز نصه مع أهداف المناهج النقدية التي استعان بها؛ حيث "اختار منهجا يجمع بين التاريخ والنقد لمّا اعتنى بالتيار، أكثر من اعتنائه بالقائل نفسه دون إغفال الشاعر، وحاول التفريق بين أسلوب شاعر وآخر من حيث تناول الموضوع، لكن في إيجاز؛ لأنّ هدف الناقد في نصه النقدي رصد الظاهرة الأدبية العامة التي جمعت بين العشرات من الشعراء في الموقف الواحد والاتجاه العام"[35].

ويكشف حديث الناقد عن غزارة النتاج الشعري الجزائري وإسهامه من ناحية مضمونه وشكله الفني في التعبير عن قيّم المجتمع وأدائه الوظيفة الاجتماعية والنفسية الموكلة إليه، عن إتباعه المنهج الاجتماعي في تحليل نصوص الشعر الديني الجزائري، وهو يُصّر على أن يقوم بقراءة سوسيولوجية "ويُجادل أفكار وايديولوجيات النص، ويُقدّم تفسيرا سوسيولوجيا"[36] لنصوص الشعر الديني الجزائري؛ لأنّه ركّز على علاقة الشعر بالمجتمع ومدى وعي الشاعر الجزائري بالوظيفة المنوطة به وتقديمه رؤية عن الجماعة التي ينتمي إليها، مصرّحا بذلك في مقدمة نصه بقوله: "اهتمامنا انصب في تحليلنا للنصوص الشعرية على الجانب الاجتماعي، وركّزنا عليه وربطنا بين الشاعر وبيئته، بين المنشئ وجمهوره، واعتبرنا الشعر لدى المنشئ تعبيرا عن ذاته وفي الوقت نفسه تعبيرا عن ظروف المجتمع ومعطيات العصر، وما وجد فيه من أزمات روحية وفكرية وسياسية واقتصادية، ويُلّح الناقد على التفسير الاجتماعي للأدب دون إهمال للجوانب الأخرى، لأنّه يُؤمن بأنّ الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم"[37].

يحاول **الركيبي** الوقوف على مدى التزام الشعر الديني الجزائري الحديث، وهي قضية قالت بها النظريات النقدية المعاصرة وطالبت الفن بها.

حيث مارس لالتزام سلطته على المبدع الذي تخلى عن مختلف التوجهات الفنية القديمة واتخذ منه مذهبه الذي يتمذهب به، والمتتبع لتاريخ الآداب الإنسانية يجدها تتبع عن التزام؛ فكل التجارب الإبداعية تكشف عن ارتباط الأديب مع أفكاره ومعتقداته وشعوره وآماله "فقد التصق الشعر العربي منذ نشأته بوجدان الجماعة وحاجاتها"[38] مما يعني أنّ "الالتزام أمر لا يمكن أن يتجاوزه أي أديب حقيقي"[39] ولا يمكن له أن يرتبط بعصر دون آخر؛ الأمر الذي يتأكد معه التزامية الشعر الديني الجزائري؛ لأنّ فاعلية الالتزام تتحدّد بالموضوعات التي تخدم الوطن، ويجد المتصفح للشعر الجزائري الحديث أنّ موضوعاته في الغالب "سياسية اجتماعية"[40] وهذا الإقرار بإمكانه أن يجعل من الشعر الجزائري الحديث شعرا ملتزما بالنظر إلى نوعية القضايا التي يُعالجها.

ارتضاء الركيبي المنهج الاجتماعي بوصفه مقاربة منهجية لتحليل وتقييم الشعر الديني الجزائري دليل على وعيه بفلسفة الالتزام؛ فهو يُدرك أنّ "الدراسة السوسيولوجية تسمح بتقديم وصف دقيق للمجموعات التي تتشكّل منها"[41] ويعي إمكانية "إحالة النص إلى عوامل واقعية يمكن التحقق منها، على نحو يبدو فيه النص مجرد عكس مرآة لهذه العوامل"[42]؛ فالتفت إلى سياق النص محاولا إنجاز قراءة سياقية؛ لأنّه على وعي بأنّها "معادل موضوعي لحقيقة خارجية تقع مسؤولية استخراجها على القارئ"[43] مركّزا على المبدع "والظروف الاجتماعية والمرحلة التاريخية والدلالات السيكولوجية والإيديولوجية والفلسفية"[44] المحيطة بالنص ليتفحصها ويُنير مختلف مستوياتها التي تحيل عليها، وهذا النقد "عُدّ أداة فعالة في مقارعة الأفكار"[45]؛ إذ تدرس "الاتجاهات النقدية النص الأدبي وعلاقته بالمبدع، كما تفحص الظروف التاريخية والاجتماعية التي ينتج فيها النص، وتدرس تأثيراته على القارئ ومسألة التذوق والإيصال"[46] فتكون قراءة النص ذات دور مزدوج يُنير النقد

والأدب، الأمر الذي تتكشف معه المرجعيات المعرفية والمنهجية التي اعتمدها ناقد الشعر الديني الجزائري؛ فقد كان له منهج نقدي واضح المعالم، وهو على وعي باستخدام الأدوات الإجرائية.

هدف الركيبي من قراءة الشعر الديني الجزائري نابع من حسّ وطني ورغبة في تجريب آليات النقد الحديث على نص له خصوصيته الثقافية والحضارية، أراد أن "يُمهّد الطريق في مجال صعب وخصب معا وحاول أن يكشف عن زاوية مهملة في الشعر الجزائري الحديث وليس له هدف سوى أن يسهم مع غيره في خدمة الأدب العربي الذي هو جزء من التراث الإنساني وهو هدف الباحث في أي مكان وزمان"[47] مما يعني توُفر الشروط النقدية في الناقد الجزائري عبد الله الركيبي، من حيث كفاءته المعرفية وحسه الوطني، لكن القارئ الجزائري خيّب ظنّه في دراساته التي اعتبرها الناقد إشارات لا ترقى إلى مستوى النقد والقراءة، من خلال نظرته إلى الجانب السلبي من الشعر الديني الجزائري أكثر من الجانب الايجابي[48] مع أنّ الدين قد لعب دورا هاما في حياة الشعب الوطنية والسياسية والاجتماعية وأدى دورا خطيرا في الحياة الأدبية والروحية على السواء وكان تأثيره قويا في الشعر منذ القديم، إلاّ أنّ قرّاء الشعر في الجزائر لم يُعنوا بأثر الدين في الشعر ولم يولوه ما يستحق من جهد؛ تحليلا أو نقدا أو مقارنة، جهدهم القرائي انحصر في انتباههم إلى أثره في النفوس وقصروه على إظهار أثر الدين بوجه عام في تغذية العواطف ضد الاستعمار.

وما زاد في خيبة الركيبي اهتمام الباحثين الأجانب بالشعر الديني الجزائري للتنديد بالعقيدة الدينية، وليس بهدف الدراسة والتحليل[49] الذي يكشف عن مدى التناقض الكبير بين الإنتاج والقراءة وإهمال النقاد له وعدم عنايتهم بموضوعاته المتنوعة، والتي بإمكانها تفعيل الذات القارئة وتمكينها من استنباط قضايا نقدية متعلقة بالنقد بصفة عامة وأخرى متعلقة بالنقد الجزائري؛ لأنّ ما يحتاجه شعرنا

الديني هو "جهد ناقد يوليه عناية واهتماما ويدفع به إلى الأمام[50] ويُخرجه من المجال السلبي الذي ألصق به، ويمكن أن تتلخص هذه العناية في محاولة بلورة إستراتيجية لقراءة نصوص نقد الشعر الديني الجزائري تستمد أدواتها ومختلف مقولاتها وقضاياها النقدية من النص النقدي الجزائري المعّد على الشعر الديني الجزائري؛ إذ لا يمكن الحديث عن حركة نقدية أو تطور معرفي دون تحليل العلاقة الموجودة بين النص النقدي وبنياته.

لم يرتبط الأدب الجزائري بعامة والشعر بخاصة بحركة نقدية مصاحبة تقيّمه وتقوّمه، وانحصر في الأبحاث الجامعية المتخصصة ممثلة في النقد الأكاديمي الذي ساهم في تفعيل عملية القراءة النقدية للنص الشعري الجزائري وبعض الانطباعات الصحفية التي لم ترق إلى مستوى اتجاهات نقدية ومدارس جمالية ذات معالم نقدية واضحة، مما جعل دراسة هذا الأدب وتحليله تعتمد أساسا على نظريات ومعايير جمالية عامة ذات مرجعيات غربية لا تأخذ الخصوصية الثقافية واللغوية في الاعتبار وتطبّق معايير جمالية وشكلية مستنبطة من الآداب الغربية، ولقد قدّم صالح جودت في مقدمة النص النقدي: دراسات في الشعر الجزائري الحديث لعبد الله ركيبي، نصيحة لنقاد الأدب في المشرق العربي، مفادها أن يتناولوا شعر هذا الكتاب برفق كبير ولا يقيموا دراساتهم له على الأسس النقدية المعروفة لأنّ سكان الجزائر قد حُرموا الثقافة العربية أجيالا، وفُرضت عليهم ثقافة أجنبية فتلكأت ألسنة شعرائهم وتلعثمت راغمة، ولم تلمع منهم إلاّ قلة محدودة في أضيق نطاق[51] لكن هذه المراعاة لا تعني إهمال النص الشعري الديني الجزائري وعدم التفاعل معه، فهو محتاج إلى محاولات قرائية تسعى إلى تأسيس رؤية نقدية تُراعي خصوصية النص الشعري الجزائري.

حاول الركيبي جاهدا مع هذه الخصوصية "ربط ظروف الشعب الجزائري بواقع الأمة العربية، وربط الشعر الجزائري بالأدب العربي"[52] ولتوفر أداة القراءة لديه ووعيه بكيفية اشتغالها، استجاب له النص الديني الجزائري؛ فبإمكان القارئ بلورة نظرية نقدية خاصة بالشعر الجزائري تُراعي هذه الخصوصية الثقافية، والتخلُّص من النظرة الضيقة التي تعوّد الباحثون في الشعر الديني الجزائري تركيزها على العامل السياسي الذي يُؤثّر في الشعر والشاعر معا، والحد من إغفال عوامل أخرى لها تأثيرها في ظروف المجتمع وسير الأحداث، والتأثير في اتجاه الشعر إلى الدين، ومن ثم لم يعنوا بأثر الدين في الشعر والأدب عامة"[53] وهنا دعوة من الناقد إلى ضرورة امتلاك أداة نقدية والوعي بكيفية اشتغالها ومقاربة النص الشعري الديني الجزائري، من منطلق أنّ "كل عمل مثير بطبعه يخطفنا من حيادنا، فيفتح حقلا واسعا من الاستجابات بداخلنا.

فلابدّ أن نجد أنفسنا مدفوعين إزاءه بالرغبة في مقاربته على نحو يجعلنا نراجع أنفسنا فيما نراجعه، ونُعدّل من مسار أفكارنا، فيما نعدّل من مسار أفكاره"[54]، أو الإقبال على قراءة النصوص النقدية التي ركّز فيها النقاد على الجانب السلبي من الشعر الديني، ونحاول التحاور والتفاعل معها، دون التوقف عند مستوى وصف النصوص واعتبار نصوص نقد الشعر الديني الجزائري التي أنجزت في المراحل السابقة فرصة للقارئ؛ لأنّ كل ما هو معرفي "لا يتأسس إلاّ بانعكاس النقد على نفسه، وازدواج حركته[55] حيث ينقد عملا هو بدوره ينقد عملا آخر، من خلال اعتماده على آليات القراءة "بمضامينها المعرفية الغزيرة، وبتقنياتها المنهجية"[56] وأيضا من خلال إعادة "إنتاج النقد لصالح عالمه التاريخي"[57] دون أن يتنكّر للعالم التاريخي الذي يرتبط به الناقد الأدبي، فعلى القراءة المنهجية أن "تأخذ بعين الاعتبار، وضعية

النص في سياق زمنه الخاص، ووضعيته بالنسبة للثقافة التي يصدر عنها، تحقيقا لشمولية الرؤية"[58].

وبالتالي يمكن اعتبار قراءة نصوص نقد الشعر الديني "عملية تقييم ضمني للرؤيا التي ينطقها هذا النص على مستوى العالم التاريخي الخاص بالنص المقروء، وعلى مستوى العالم التاريخي الموازي الخاص بالقارئ في الوقت نفسه"[59]، حتى يُدرك قارئ هذه النصوص المقروءة في مرحلة ما "أنّ جهاز قراءته قد كشف في النص الذي قرأ عن معنى ذي دلالة في السياق التاريخي لهذا النص وأفقه الزمني الخاص، وذي دلالة موازية في السياق التاريخي لهذا القارئ وأفقه الزمني الخاص في آن"[60]، ويُدمج هذا القارئ أفقه النقدي بأفق الناقد الأدبي حتى يستطيع أن يتفاعل مع مقولات النص النقدية ويكون مُحاورا متجاوزا الوصف السطحي السلبي إلى مستوى التحليل والتقييم لموقعة هذه النقود في مسار الحركة النقدية الجزائرية بخاصة والحركة النقدية العربية بعامة، نظرا لتغيّر ظروف الناقد الجزائري وانفتاحه على ثقافة الآخر واستعانته بمناهج النقد الأدبي.

واقع نقد الشعر الديني الجزائري ومعاناته وغياب الاهتمام به يشترك فيها مع النقد العربي ككل، وليست مقصورة على البيئة النقدية الجزائرية؛ ففي "العصر الحديث تكاد الدراسات الأدبية تخلو من التوجّه نحو إبراز الأثر القرآني في الشعر العربي الحديث"[61] نظرا إلى شيوع قصائد المديح النبوي فيه، مع أنّ "الدين في الجزائر لعب دورا هاما في الحياة السياسية في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، بحيث كان يحرك الأحداث السياسية ويدفع الجماهير إلى أن تناضل ضد الأجنبي المحتل وضد أطماعه وأهدافه الاستعمارية؛ لأنّ الشعر الديني الجزائري الحديث ينطلق من الدين بمفهوم جديد ينظر إلى الدين نظرة واعية مدركة لأثره القوي في

وجدان الفرد والجماعة، ويفسّره تفسيرا يلائم روح العصر والتقدم الإنساني"[62]، ومع هذه الفاعلية المستحدثة والمكيّفة مع التطورات لم يلق تفاعل القراء واهتمامهم.

ليس حال الأدب الجزائري بأحسن من حال الشعر الديني، فما "أقل الدراسات التي كتبها الباحثون والنقاد عن الأدب العربي في الجزائر قبل ثورة التحرير وفي أثنائها وبعدها، رغم أهميته البالغة في التعبير عن الإنسان الذي فجّر هذه الثورة"[63] فالجناية ليست على شعرنا الديني وحده فحتى الشعر الثوري لم يلق اهتمام النقاد، واعتبره **الركيبي** تناقضا أو تغافلا من الدارسين أدى إلى تغييب خطاب النقد، الذي كان بإمكانه أن يتفاعل ويُثمر في ضوء موضوعات الشعر الديني المتنوعة، وإهمال نقد الشعر الديني الجزائري الحديث ليس له ما يبرّره، فالمتصفح للشعر الجزائري الحديث يلحظ أنّ الشاعر كان يتأمل واقع المجتمع وما استشرى فيه من أدواء، محاولا إصلاحه من زاوية الدين؛ حيث "استمر تأثير الدين إلى فترة متأخرة حين قامت الثورة الجزائرية"[64]؛ ولقد أثبت الشعر منذ القديم أنّه خطاب سلطوي على مناحي الحياة الفكرية والسياسية والروحية؛ وهو متسم بالظاهرة الدينية منذ مهده، وكثيرا من المواقف التي حدثت في عهد الرسول(ص) في جملتها ذات صبغة دينية، كما أنّ المبادئ الأولى للفرق الدينية لم تك في أصلها سياسية ولكنها كانت دينية[65]، فهذا التناول ليس مقصورا على الشعر الجزائري وحده.

أما إذا كان الإشكال مع المضمون فالدين باعتباره إيديولوجيا تغلغلت مضامين الإبداع منذ القدم، إذن: ما على قارئ النقد إلاّ أن يربط قراءة القراءة بزمن القراءة وزمن التلقي والشرط التاريخي والمعرفي؛ نظرا لأنّ "الاستجابة تتبدل مثل الكتابة بمقتضى التبدُّل التاريخي"[66]، غير أنّ من النقاد من يرى أنّ قارئ النقد بمراعاته للشرط التاريخي سيورط نفسه، ومنهم من ينفي تورط قارئ النقد ووقوعه في الشرك الإيديولوجي، ويرى أنّ "وضع شروط إنتاج النص الأدبي في الاعتبار، لا يترتب عنه

على مستوى نظرية المعرفة أي التزام إيديولوجي، فناقد الأدب هو وحده المعرّض لدخول عالم الإديولوجيات، أما قارئ النص النقدي فسيكتفي بتتبع رحلة الناقد بين النص والواقع"[67] وكل ما يفعله هو عملية وصفية للإيديولوجيات التي يكشف عنها النص دون أن تطالبه بتبنيها.

4.خاتمة:

يعاني النقد من قلة الدراسات النقدية، وما تحتاجه نصوص نقد الشعر الجزائري هو القراءة الثانية والاستعانة بوسائل وقوانين نقد النقد، استجابة للشرط التاريخي المغاير، للوصول إلى نتيجة مغايرة لنتيجة الناقد الأول؛ لأنّ الأهداف التي كان يسعى إليها المجتمع الجزائري في عصر قراء الشعر الديني الجزائري الحديث تختلف عن الشروط التاريخية للمجتمع الجزائري المعاصر، حيث اختلفت الأهداف والآمال والتطلعات نحو المستقبل، نتيجة ما طرأ على العالم من تحوّل على جميع المستويات، وكذا ما نتج عن التطور التكنولوجي في الإعلام خاصة، بحيث لم يبق المجتمع الجزائري بمعزل عن عالمية الرؤية، التي استدعت قراءة جديدة للنص ولنقد النص؛ لتبرير الأحكام النقدية في زمنها، وإعطاء رؤية جديدة تتماشى ومتطلبات العصر وتقديم قراءة مضيئة ومحاورة وشارحة لنصوص نقد الشعر الديني الجزائري.
معذور ناقد الشعر في الجزائر، وناقد الشعر الديني منه بخاصة، والذي اعتمد في تقييمه على رؤية أحادية الجانب؛ إذ يتحكّم فيه موقف فكري إيديولوجي له ما يبرره، فالقارئ المنجز للنص النقدي الجزائري يخضع لزمن تاريخي وتتحكم فيه إيديولوجيا الجماعة التي ينتمي إليها، فهو يقرأ بمنظور الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها؛ فشكّلت الإيديولوجيا نوعا من التسلّط دفع بالذات القارئة الجزائرية، إلى الاستعانة بالمناهج النقدية التي تُساعدها على استخراج العنصر المعبّر عنه في النص الأدبي مهملة باقي المناهج، لذلك تحتاج نصوص نقد الشعر الجزائري إلى إعادة القراءة والتحاور معها لإضاءتها وإيجاد مبررات لقرائها، ومعاينة بنية هذه النصوص للوقوف على مدى وعي منجزي هذه النصوص بنظرية خطاب النقد.

انعكست القيم والملامح الدينية التي تخاطب الحس الديني والنوازع النفسية في الشعر الديني الجزائري الحديث، والتي لو قُرئت قراءة معمقة فاحصة لاستطاع القارئ الوقوف على مدلولات حديثة للشعر الديني الجزائري، وعلى الكثير من خصوصيات الشعب الجزائري، وما على القارئ المعاصر إلاّ أن يُعيد قراءة القراءة مراعيا الشرط التاريخي الذي أُنجزت فيه نصوص نقد الشعر الديني الجزائري، ويضع في حسابه الظروف الثقافية التي حاصرت ناقد الشعر الديني الجزائري وحالت دون انفتاح نقدنا الحديث على نظريات ومناهج قراءة الشعر والاستعانة بآليات القراءة المعاصرة، ومع ذلك يمكن القول أنّ الناقد الجزائري "عبد الله الركيبي" يعي فاعلية العتبات النصية؛ حيث ضبط عتبة المقدمة وفق الشروط التي وضعتها منهجية البحث العلمي، ولقد أسهمت مقدمة نصه في تفعيل القراءة النقدية من خلال التصريح بالمنهج المتبع، وحديث الناقد عن معالجة قضية الالتزام باعتبارها أساسيات التحليل الاجتماعي؛ الأمر الذي كشف عن وعي الناقد المنهجي بآليات التحليل، وإتباعه الحرفية المنهجية وعدم إخلاله بالمبادئ الأساسية للمنهج.

5.الهوامش:

[1]أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ترجمة سعاد بن إدريس، مجلة نوافذ، العدد 10، السعودية، 1999، ص: 27.

[2]أنظر سعيد يقطين: مقدمة كتاب عتبات، جيرار جنيت من النص إلى المناص، لعبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، الجزائر، ص: 15.

[3]عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص –دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000،ص:16.

[4]سعيد يقطين: مقدمة كتاب عتبات، جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص: 14.

[5]أنظر أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ص: 22.

[6]عبد الحق بلعابد: عتبات، جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص:19.

[7] المرجع نفسه، ص: 27-28.

[8]أنظر أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ص: 22-23.

[9]عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص:16.

[10]أنظر أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ص: 25.

[11]حميد لحميداني: سحر الموضوع -عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر- ط2، مطبعة آنفو برانت، فاس، 2014، ص: 18.

[12] سعيد يقطين: مقدمة كتاب عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص: 14.

[13] فولفجانج إيسّر: فعل القراءة -نظرية في الاستجابة الجمالية، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص: 31.

[14]أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ص: 27.

[15] نبيل سليمان: الكتابة والاستجابة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص5.

[16]المرجع نفسه، ص ن.

[17]جبور أم الخير: السوسيو نقدية لدراسة النصوص الأدبية، مجلة الموقف الأدبي، ص51.

[18]أنظر سعيد يقطين: مقدمة كتاب عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص: 15.

[19]أنظر أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ص: 28.

[20]أنظر عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص: البنية والدلالة، ط1، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996، ص:41.

[21] أنظر أندري دي لونجو: في إنشائية الفواتح النصية، ص: 21.

[22]أنظر عبد الله التطاوي: منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005، ص: 99.

[23]أنظر حميد لحميداني، سحر الموضوع، ص: 18.

[24] أنظر عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص، ص: 41.

[25] أنظر المرجع نفسه، ص: 40.

[26] المرجع نفسه، ص: 41.

[27] عبد الله التطاوي: منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي، ص: 99.

[28] حميد لحميداني: سحر الموضوع ص: 17.

[29] أنظر عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص: البنية والدلالة، ص: 40.

[30] حميد لحميداني: سحر الموضوع، ص: 17.

[31] عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص: 11.

[32] أنظر عبد الله التطاوي: منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي، ص: 99.

[33] حميد لحميداني: سحر الموضوع، ص: 17-18.

[34] أنظر عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص7.

[35] أنظر: المصدر نفسه، ص8.

[36] أنظر: بول آرون وألان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، ترجمة محمد علي مقلد، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2013، ص: 56.

[37] أنظر: عبد الله الركيبي، الشعر الديني، ص: 8.

[38] محمد فتوح أحمد: الشعر العربي الحديث: جدليات القديم والجديد والأصيل والوافد، ضمن الأدب العربي-تعبيره عن الوحدة والتنوع- بحوث تمهيدية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1987، ص: 35.

[39] عماد حاتم: تاريخ الآداب الأوربية -الآداب الأوربية حتى القرن التاسع عشرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1979، ص:427.

[40] أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 32.

[41] بول آرون وألان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، ص: 64.

[42] ولفغانغ إيزر: اللاتحديد واستجابة القارئ، ك،م. نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي العاكوب، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996، ص: 239.

[43] أنظر عبد العالي بوطيب: مفهوم الوقع الجمالي عند إيزر، مجلة علامات في النقد، العدد 53، 2004، السعودية، ص: 207.

[44] فاضل ثامر: اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت -الدار البيضاء، 1994، ص: 43.

[45] محمد خرماش: النقد الأدبي الحديث في المغرب وإشكالية المناهج، البنيوية التكوينية نموذجا، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد،8، العدد 3و4، ديسمبر 1989، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 207.

[46] أنظر فاضل ثامر: اللغة الثانية، ص: 43.

[47]عبد الله الركيبي: الشعر الديني، ص9.

[48] أنظر المصدر نفسه، ص6.

[49] أنظر المصدر نفسه، ص: 5-6-7.

[50] أنظر المصدر نفسه، ص: 42.

[51] أنظر عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ، كتب ثقافية – القاهرة 1961.

[52] عبد الله الركيبي: الشعر الديني، ص8.

[53] المصدر نفسه، ص5.

[54]وليد منير: مقاربات ومداخلات نقدية، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد،8، العدد 3و4، ديسمبر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 ص: 211.

[55] أنظر جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، ط1، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، 1991، ص: 16.

[56] أنظر عبد السلام المسدّي: في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، ص: 9.

[57] أنظر جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، ص: 8.

[58] محمد حمود: مكونات القراءة المنهجية للنصوص، المرجعيات، المقاطع، الآليات، تقنيات التنشيط، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1998، ص: 16-17.

[59] جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، ص: 6.

[60] المرجع نفسه، ص: 16.

[61]شلتاغ عبود شراد: أثر القرآن في الشعر العربي الحديث –المرحلة الإحيائية– أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي، 1983، ص: 5.

[62] عبد الله الركيبي: الشعر الديني، ص:5.

[63]حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر–بين الواقع والآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، 1987، ص:5.

[64] عبد الله الركيبي: الشعر الديني، ص:5.

[65] أنظر عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1954، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص:12.

[66] أنظر نبيل سليمان: الكتابة والاستجابة، ص:5.

[67]حميد لحميداني: سحر الموضوع، ص:15.